واضرب لهم مثلاً رجلين أي ومثّل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني
إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن مسلم اسمه يهوذا • وقيل هما المذكوران في سورة
والصافات في قوله تعالى قال قائل منهم إني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار
فتشاطراها فاشترى الكافر أرضاً بألف دينار فقال المؤمن اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار
وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه داراً بألف دينار فقال اللهم
إني أشتري منك داراً في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال اللهم إني جعلت
ألفاً صداقاً للحور • ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف فقال اللهم إني اشتريت منك الولدان
المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده
ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد
الأسد وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد
جنتين من أعناب بستانين من كروم • وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين وهذا
مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه إذا طافوا به
وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً
كقوله غشيته وغشيته به • وجعلنا بينهما زرعاً جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه ووصف
العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب
الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو أصل الخير ومادته من أمر الشرب
فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والأكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم
تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وفجّرنا
وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل • وكان له ثمر أي أنواع من
المال من ثمّر ماله إذا كثّره • وعن مجاهد الذهب والفضة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين
الأموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار من كل وجه متمكناً من عمارة
الأرض كيف شاء • وأعز نفراً يعني أنصاراً وحشماً وقيل أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون
الإناث • ويحاوره يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسأله فما أحاد كلمة يعني قطروس

أخذ

أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك
من المال دونه فإن قلت لم أفرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل
ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه
في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما
أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم إخباره عن
نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره
بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا
بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه • ولئن رددت إلى ربي إقسام
منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه • ليجدن في الآخرة
خيراً من جنته في الدنيا تطمعاً وتمنياً على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه
ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستيهاله وأن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله
تعالى إن لي عنده للحسنى لأوتين مالاً وولداً وقرئ خيراً منهما رداً على الجنتين • ومنقلباً
مرجعاً وعاقبة وانتصابه على التمييز أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية
وتلك باقية قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة
ثم سواك رجلاً لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء
الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل
عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً وأحيط
بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً
خلقك من تراب أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً له ثم سواك
عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه لشكه في البعث
كما يكون المكذب بالرسول كافراً • لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها
على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ونحوه قول القائل • وترمينني بالطرف أي أنت مذنب
وتقلينني لكن إياك لا أقلي • أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة

ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً

Copyright © King Saud University